الضياء بهرا
Bahra No 458 Sun. 26 Oct 2008
العدد ٤٥٨- الاحد ٢٦ تشرين الاول ٢٠٠٨م - ٦٧٥٨ آ

عائلة موصلية تبدع في آفاق الشعر الشعبي

التأثر والوراثة صفتان لازمتا أفراد الأسرة الشعرية

الموصل / سامر الياس سعيد

بالطبع فالتأثر والوراثة صفتان تبلغ من الأهمية درجتها القصوى مشكلة عجينة الشعر الشعبي في فكر أفراد عائلة دأبت على التواجد في الجلسات الشعرية والاحتفالات المختلفة ليبرهن رب العائلة انه جاد في إبراز تلك الطاقات ومنحها أفقا متميزا لإيصال رسائلهم بأقرب طريق عبر كلمات قصيدة الشعر الشعبي والتي استطاعت إن تترك بصمتها في مخيلة العراقيين والموصليين منهم، خاصة إن الشعر الشعبي يتمتع بمساحة من التفضيل بين فئات واسعة من الجماهير كون كلماته كثيرة التداول ولاتنضوي وراء قواعد ما بين الصرف والنحو وأبواب الشعر الفصيح..

والعائلة الموصلية التي يتقدمها رب العائلة طلال الجبوري منح لأبنائه فرصة مميزة ليتركوا على الورق تارة أو في محافل أخرى ما جادت بها قريحتهم الشعرية رغم أنهم لم يتعدوا العشرين من العمر ولم تتبلور أمامهم تجربة الحياة بتفاصيلها المتباينة مما يترك تساؤلات حول الدافع أو المصدر الذي يمكن إن يستقوا منه ما يؤهلهم ليقولوا كلماتهم الشعرية في مجالس عديدة حظينا بأغلبها..

يقول طلال الجبوري الذي يترأس رابطة الشعراء الشعبيين في نينوى إن الفطرة وحدها كانت الكفيلة بسحبه لفضاءات الشعر الشعبي فبدا مشواره متأثرا بالعديد من الإمكانات والطاقات الشعرية التي تزخر بها الموصل ومنها الشاعر معد الجبوري وإمكاناته وتقنياته الواضحة في مجال الشعر كما أعجب بتميز الشاعر عبد الوهاب إسماعيل الذي أجاد في محور الفصيح متمكنا من إدارة قوافيه وبحوره تماما كما أينعت كلماته في بستان الشعر الشعبي ويقول الجبوري إن بدايته الشعرية بدأت مع بلوغه عامه العاشر محاطا بمباركة الأهل وتشجيعهم اما عن نمو ملكة الشعر لدى أبنائه الثلاثة فيقول عنها طلال الجبوري: بدأت ارقب تكوينهم فلمست منهم محبة لكتابة الشعر فكانت البداية مع ابنتي أرجوان البالغة من العمر ١٧ عاما والتي اكتفت بالكتابة دون رغبة في ظهورها وإلقائها لقصائدها اما ابنتي الأخرى شهد والتي تبلغ من العمر ١٢ عاما فهي متفوقة بدراستها فضلا عن تميزها في التقاط الفكرة وصهرها داخل قالب شعري كما أنها تستعين في أحيان كثيرة بما تلتقطه من بيئتها العائلية وفي أحيان كثيرة أقول لها فكرة عن موضوع وليد لحظته فاتفاجأ بأنها صورت تلك الفكرة داخل قصيدة شعرية لم توفر فيها إلا دقائق معدودات والموهبة الثالثة التي مازالت تتلمس طريقها في درب الشعر ومن أفراد العائلة الشعرية هو علي طلال الذي يبلغ من العمر عشر سنوات..

ويضيف الوالد في حديثه عن إمكانية أبنائه فيقول تتميز شهد بطريقة إلقائها لقصيدتها فالعفوية تتغلب عليها مشيرا الى أنها تستطيع إن تسرق الأنظار إليها وهي تلقي القصيدة.. اما شهد فتقول إن الشعر الشعبي هو لسان حال الشارع وهو مفهوم لطبقات كثيرة منها المتعلم ومنها الذي لم يجد له فرصة في تلقي التعليم المناسب وتتابع شهد فتقول تأسرني القصيدة الوطنية فهي الأقدر على مواجهة المحتل وهي في هذا الزمن تأخذ مساحة موقف حينما تؤجج النفوس وتجعلها ترفض الممارسات البغيضة التي يقوم بها أعداء الوطن اما علي فيقول انه متفوق بدراسته وغالبا ما يتلقى تشجيعا من معلم اللغة العربية بمدرسته لما يمتلكه من تميز خطابي وقدرة على إتقان المواضيع التي يحولها الى قصائد اما الوالد طلال فيختتم حديثه لنا بالقول أكثر ما يؤلمنا كشعراء شعبيين هو تنوع الجهات التي تتبنى عملنا وتتخذ من واقعنا كشعراء شعبيين خارطة طريق لها دون وجود جهة واحدة تقدر ان تضمن حقوقنا وحقوق كلماتنا دون وجود استغلال من أطراف خارجية تحاول هضم حقوقنا وفي مرات عديدة تبتلعها ويتمنى إن تلتئم جموع الشعراء تحت يافطة واحدة وتتوحد جهودهم من اجل الكلمة الحقيقية التي يصفها بأنها نابعة من يوميات المواطن العراقي فيما يصفها آخرون بأنها ضمادات تمنح البلسم الشافي لجروح العراقيين..

خلاصة الشعر خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

أحقّاً عباد الله أنْ لستُ خارجاً
ولا والجاً إلاّ عليّ رقيبُ
ولا زائراً وحدي ولا في جماعة
من الناس الاّ قيل: أنت مريبُ
وهل ريبةٌ في أنْ تحنَّ نجيبةٌ
الى إلفها أو أنْ يحنَّ نجيبُ

هذه الابيات الغزلية الرقيقة قالها الشاعر مالك بن الصمصامة الجعدي.. من شعراء البدو، وشعره قليل، مبثوث في كتب الادب والتراث.

لكن رغم ماعرف عنه من شعر رقيق، وغزل انيق الا انه كان فارساً من فرسان قومه بني جعده، شجاعا بين الشجعان، جوادا بين الاقران، حسن الوجه، مليح الصورة.

وغزله هذا ما جاء تقليداً كغيره من الشعراء، بل جاء تعبيراً عما عاناه من حب لفاتنة تدعى جنوب بنت محصن وهي جعدية ايضا.

وكان اخوها من شجعان العرب، فعرف بخبر الشاعر، فأقسم يميناً لئن زارها او شبب بها ليقتلنه او ليأسرنه ولا يطلق الا بعد ان يجزّ ناصيته "جزُّ الناصية قطع اوقص مقدمة شعر الرأس وهذا افضع ما يعمل بالاسير وهو عار يلحق بالاسير وبقومه والذي يمكن فداؤه بالمال".

ومن اجل هذا التهديد جاءت هذه القصيدة فالشاعر بين نارين نار الحبيبة ونار التهديد فاين المهرب؟

لذلك فهو في البيت الاول لم يجد ما يقول غير ان يستصرخ القوم لاغاثته مما هو فيه من حيرة ومعاناة، طالبا اسعافه بكل ما يمكن من نصيحة او علاج للفكاك من هذا المأزق فهو يسأل والبلاغيون يسمون سؤاله هذا بتساؤل العارف. لان سؤاله ليس سؤال مَنْ يبحث عن جواب يجهله بل هو يسأل وهو عارف جواب سؤاله. ولكن ماذا يستطيع ان يفعل القوم اذا كان التهديد صادرا عن شخص بمثل قوة وشجاعة اخيها الاصبغ بن محصن؟

فالشاعر في وضع لا يحسد عليه فقد حاصرته اعين الرقباء فهو مراقبٌ عند دخوله وخروجه.

وربما لايشفع له تواجده مع جماعة، لإن الجماعة تتحاشاه، وتبتعد عنه خوف ان يقول قولا او يفعل فعلا فيقع المحذور وتخرج عن قدرتهم الامور. وما سيحصل بين الغادر والمغدور.

وبعد ان رأى الشاعر ان طرقه مغلقة اراد ان يجد له وسيلة للتبرير او منفذاً يمر خلاله مصرحا ان الامر لايعدو كونه حنينا وليس في ذلك ما يعيب او يجلب الريب فحنينه الي المحبوبة يشابه حنين النجيب "الجمل" الى الفه الناقة النجيبة وهذا يسميه البلاغيون "حسن التخلص".

تقول الرواية: ان شاعرنا كان جالساً في مجلس فيه اخو المحبوبة، فأقبلت فعرفها من مقدمها ولم يستطيع الكلام، فاغمي عليه، وفطن اخوها للامر لكنه تغافل عنه، ولما افاق قال

ألمّتْ فما حيّتْ وعاجتْ فاسرعت
الى جرعة بين المخارم فالنحر
خليلي قد حانت وفاتي فاجفرا
برابية بين المخافر والبتر
لكيما تقول العبدلية كلما
رأت جدثي: سقيتَ ياقبرُ من قبر

المخارم والنحر والمخافر والقبر، مواضع واماكن فحق عليه موت الكرام فطلب ان يحفر له قبر لكي تستطيع المحبوبة ان تلقي عليه "اي القبر" السلام دون خوف او ملام.

وحين اراد اهلها الرحيل الى منطقة معشبة وقف لهم مالك ومسك بحبل بعيرها وقال:

اترعين ما استودعتِ ام أنت كالذي
اذا ما نأي هانت عليه ودائعه

فبكت وقالت بل ارعي والله ما استودعتُ ولا اكون كمن هانت عليه ودائعه، فترك بعيرها وانصرف وهو يقول

فلا أنا فيما صدني عنه طامع
ولا أرتجي وصل الذي هو قاطعه

اصدارات

صدرت الطبعة الجديدة من كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية على كلام مذهبي الغربيين والشرقيين، الكتاب لمؤلفه السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان. صدر الكتاب عن دار قدمس في ٤٦٥ صفحة من الحجم الكبير.

مؤلف هذا الكتاب: يوسف بن داوود بن الشماس بهنام ال زبوني الموصلية. كانت ولادته في "٢٣ /تشرين الثاني/ ١٨٢٩م" في العمادية شمال الموصل. في الخامسة من عمره، عادت عائلته الي مسقط رأسها مدينة الموصل/نينوى، فادخل الطفل يوسف الى مدرسة الطائفة، ثم قرأ الصرف والنحو واللغة الفرنسية في مدرسة المرسلين، وقرأ الايطالية على يد الاباء الدومينيكان، وبعد ان عرف بنباهته ارسل الى مدرسة بروبغندا في روما، وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وقبل ان يصل الى روما في نهاية ايار "١٨٤٦"، امضى ستة اشهر في المدرسة اليسوعية في غزير في لبنان، حيث تعلم اللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية والانكليزية، وكذلك اللغات اليونانية والعبرانية والسريانية، وقال عنه فيليب طرازي: ان اللغات التي اتقنها بلغت عشرين لغة.

ان اعادة طباعة كتاب: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، على كلا مذهبي الغربيين والشرقيين، من قبل قدمس للنشر والتوزيع، وباخراج جديد، في الذكرى المئوية الثالثة عشرة لرقاد العالم النحوي الكبير الملفان مار يعقوب الرهاوي هو خدمة قيمة وجديدة تقدم الى اللغتين العربية والسريانية، خاصة الى طلاب العلم في الجامعات التي تبدي اهتماما بالغا باللغة السريانية، ادبها وعلوها، والنتاج الفكري ماضيا وحاضرا. وانه لمن دواعي السرور ان نرى اليوم هذه الجامعات في كل من : جمهورية مصر العربية، وسوريا، والعراق، وتركيا، وغيرها من البلدان في الشرق الاوسط، كما نجد اهتماما باللغة السريانية وكنوزها في جامعات كثيرة في الغرب. سيبقى هذا الكتاب مرجعا لكل اولئك، ويمكن ان تساهم معرفة اللغتين من قبل الباحثين في بناء جسور المحبة بين ابناء الثقافتين السريانية والعربية.

سفينة النجاة
3 Years
انما حياتي هي المسيح
الوثنية المعاصرة

* صدر العدد الثامن عشر من مجلة "سفينة النجاة" وهي مجلة دينية - ثقافية - اجتماعية - رعوية فصلية تصدر عن كارتدرائية سيدة النجاة، تضمن العدد المواضيع التالية:

- انما حياتي هي المسيح.
- الوثنية المعاصرة.
- نؤمن بمن مات وقام.
- المعجزة خيال ام علامة.

اضافة للابواب الثابتة: من التاريخ، اجتماعيات، ادبيات، علميات، شذرات.

الركن اليماني

القصيدة للشاعر
واثق الجلبي
رئيس تحرير جريدة الموقف الرابع

هذا زمانك او زماني فانا وانت لواحدان
بلد ثراه يضمنا وكما رقاك فقد رقاني
ماعوننا خبز يداف ببره عرق الاواني
هذا مكانك ام مكاني فانا وانت التوأمان
ها انت تحتشد البطولة من قصيك للتداني
انذر عشيرتك الذين تقتلوا في كل ان
واحمل غبوش الدل في وضح الخطوب الى المدان
تكشف خبايا دجلة التواقة الصبر المهان
تسكب على جمر الفرات طفولة الركن اليماني
اجمح خيال الطين في طمع الفوارس للطعان
اني نذرت اليك اوراقي وبعضا من دخاني
اني رايت المنكرات فلم يكن الأ جناني
الجسر بين يديك مئذنة تحن الى الاذان
هو جرحك اللهم في قلبي افاض على لساني
بل انت مفتاح القلوب السائرات الى الجنان
فنذير خوفي قصتان وشراب اهلي غصتان
ما انت الا فجوة التاريخ من بين البنان
رحلت خبايا الخوف تفترس الوجوه على الهوان
الف من السنوات قد كبلت فما اوهت بياني
الشوق منطلق القصيدة والدماء لها معان
في قبة سمعوا شهيق الرفض في عنت الزمان
شاخوا فما وهنوا وما هانت لديهم نخلتان
في باب حطة شاهدان انذر ونحن ضحيتان
ان كنت سافرت الحياة فلم تزل بكم الموالي
من انت؟ فوق رماحهم يتلو لنصرك خافقان
انا شاعر الارض التي مزقتها بدم الجمان
انا شاعر الايات في زمن التخبط والهوان
العمر عنوان وكم للقيد من عمر يعاني
قدر معاناة الرجال النخل في عنق السناني
اهفو لضونك ما اداري لوعة ان قيل عان
قصوا جناحك يا عراق الطهر في الزمن المدان
فرعون ما ولى واذ جاءوك من خلل الدخان
الدهر ضوء اصابع عشر واحداها كياني
شكلت فيه موائدا نزلت بايات سمان
الكفر من جعل العراق بساط ريح للخوان
نهبوا العراق وكم يد سرقت فما نفدت جفاني
ساظل اذكر قصة الاشياء في عرج الزمان
عكاز تاريخي دماء الورد في شفة الثوان
فالسيف ممهور الاخوة في السفارة واليدان
ملعونة هذي الجراح الغر تنزف كل آن
قدر دماءك في بياني قدر ونحن كوكبان
ان لاح نجم في العراق فهذه احدى المعاني
فانظر لوجه قصيدة هامت بحبك للعنان
يا ايها الجسد الممزق كم تريد لكي تراني؟
آتيك منتفض الجراح مرنما غزل الحسان
قرآنكم والوحي في خطراته متلازمان
ما ضمكم زمن ولا رقدت عليه المقلتان
الصورة ارتسمت لتغرف من وضوحك ما تراني
ما شد لمعة بارقيك وانت تنظر للزمان
الكاس تصبو والشراب يعيبه كسر الاواني

صرخه من الأعماق

كريزيلدا
همسة

دعونا نصرخ
دعونا نتجاوز صمتنا
أن كان يهمكم ذلك!!
نحن لا نجيد الكلمات
ولا نجيد البوح
أنما علمتني أيامي
الا أترك الحق ولا أقسو .....كي لا أهجر!!!
كي لا أتحول ألى عاصفة تحرق أذني تمزق
جسدي لتلسعني بعنفها
دعونا نروي لكم قصص الحقائق
أسم جدي وجدكم واحد
إمبراطوريتهم نتذكرها باحترام وتقدير
دعونا نروي لكم
قصة أمي مع أمك
كم عانت لتغسل آلام الماضي لتعيد لنا الحياة
وحكاية المأساة
لحلم مستحيل التحقيق تحضنه صدورنا بحرارة
لدموع تلك الليالي الطويلة
قد قررنا أن نعيش الماضي والحاضر
والمستقبل
وسؤالي هل هكذا تنتهي الحكاية
ولا تقل.... لنجعلها حكاية جديدة

القلادة الاخيرة

غسان نصر راغب

قصة قصيرة

كان سكان مدينة "الامينة" يعيشون بسلام وامان وطمأنينة فهي مدينة فيها الكثير من الخيرات والثمار والكثير من النخيل ويجري في عروقها نهران عذبان وكانت تربتها سوداء لشدة خصوبتها وعاش اهلها حياة سعيدة وهادئة احب بعضهم بعضا وتعاونوا على الخير والتقوى والصلاح والبناء على اختلاف عقائدهم ومعتقداتهم وطرق تفكيرهم. ان هذه المدينة حباها الله عز وجل بالكثير من الثروات لكي ينعم بها اهلها فهي من حقهم حتى حسدهم اهل المدن المجاورة لمدينة "الامينة" واخذوا ينظرون لهم بعين الغيرة لما تملك مدينتهم من طيبات ولما يملك اهلها من طيبة في التعامل مع بعضهم البعض وما يتصفون به من صلاح وخير. حتى قرر اهل مدينة "الامينة" ان يبنوا لهم بيتا كبيرا يجمعهم كلهم لكي يلتقوا فيه ويحلوا مشاكلهم التي تعترض طريق حياتهم. وبدأ اهل المدينة بناء هذا الصرح الكبير وعندما انتهوا من بنائه نظروا اليه ثم قرروا ان يضعوا على اعلى مكان فيه رمزا يرمز لهم ولمدينتهم فاختاروا ان تكون قلادة جميلة وبراقة تعلق على اعلى مكان فيه ولكنهم احتاروا كيف يكون شكل هذه القلادة او ما هو لونها او نوعيتها. سكان المدن المجاورة لم يكونوا يملكون عشر خيرات مدينة "الامينة" وعندما سمعوا بقصة بناء البيت الكبير وموضوع القلادة اجتمعوا معا وقرروا ان يضمروا الشر لسكان مدينة "الامينة" وان يفرقوا وحدتهم لكي يشعلوا نار الفتنة بينهم مما يتيح لهم الفرصة لنهب خيراتهم، فارسلت كل مدينة من المدن المجاورة لمدينة "الامينة" رجلا يحمل معه قلادة ذات لون معين تعرضها على سكان مدينة "الامينة" وكان عدد الرجال الموفدين ثلاثة رجال كل رجل يحمل قلادة تمثل اللون السائد في مدينته وعندما وصل الرجال الثلاثة الى المدينة عرض كل واحد منهم قلادته ثم غادروا المدينة.

نظر اهل المدينة الى كل قلادة وكانت كل واحدة تحمل قلبا في الوسط عليه غطاء، وكان هناك في مدينة الامينة شيخ كبير وله دراية في امور كثيرة متعلقة بنواحي الحياة وهو شيخ يمتاز بالحكمة والعقل والمعرفة واهل المدينة يحترمونه ويعتمدون عليه كثيرا في امورهم وعندما سمع بامر الرجال الثلاثة القادمين من المدن المجاورة اسرع الي المكان الذي يجتمع فيه اهل المدينة واحضر معه قلادة مختلفة تماما عن القلائد الثلاث وكانت تحمل ايضا في الوسط قلبا له غطاء وكانت تبدو اكبر من القلائد الاخرى عند ذلك قال لهم الشيخ اختاروا هذه القلادة وهي افضل لكم وتحمل اللون المناسب لكل فئة منكم ولكنهم اصروا ان يطلعوا على كل قلادة لكي يشاهدوا اللون الذي في داخلها فوضعوا قلادة الشيخ الحكيم في مكان معزول دون ان يكشفوا غطاء القلب الذي تحمله واخذوا يفتحون غطاء كل قلادة فوجدوا الاولى تحمل قلبا لونه احمر والثانية قلبا لونه اصفر والثالثة قلبا لونه ازرق عند ذلك دب الخلاف بينهم اي قلادة يختارون فانقسموا ثلاث فرق كل فرقة تريد ان تضع القلادة التي تريدها على الصرح الذي اقاموه وعندما لم يصلوا الى حل اخذوا يتقاتلون فيما بينهم وانتشر الخراب والدمار في المدينة واصبح كل واحد فيها خائفاً من الاخر واستمر القتال اياما ولياليا واشهرا بل وسنينا وتمت خطة المدن المجاورة وعندما تعبوا من القتال واستنزف كل فريق منهم الفريق الاخر نظروا من حولهم فوجدوا مدينة "الامينة" وقد اصبحت مدينة خربة عند ذلك توصلوا الى حل فيما بينهم وقالوا لنذهب الى الشيخ الحكيم ربما نجد حلا عنده فذهبوا اليه وكان في ساعته الاخيرة وفي الرمق الاخير من حياته وسالوه ماذا يجب ان نفعل فقال لهم اختاروا القلادة التي جلبتها لكم وكانت هذه هي كلمته الاخيرة ومات حزنا على مدينة "الامينة" عند ذلك تذكروا القلادة التي جاء بها الشيخ الكبير فذهبوا الى المكان الذي حفظوها فيه واخذوها وفتحوا غطاءها فوجدوا فيها قلبا ملونا بالوان متعددة الاصفر والازرق والاحمر وغيرها من الالوان وكانت الوانا جميلة براقة اثارت اعجابهم ودهشتهم فندموا على ما فعلت ايديهم وندموا على ايام الحرب التي دمرت مدينتهم لانهم وجدوا قلادة اجمل بكثير من كل قلادة وردت لهم من المدن المجاورة فوضعوها فوق صرحهم الذي بنوه بايديهم واصبحت نبراسا لهم وما ان وضعوها على الصرح حتى اصبحت تشع اشعاعا كبيرا بالوان زاهية غطت كل المدينة ليبدأ بعدها بناء المدينة من جديد خاصة بعد ان تصالح اهلها وعرف كل واحد منهم انه يكمل الاخر وكلما اختلفوا فيما بينهم نظروا الى القلادة التي تجمعهم كلهم لانها القلادة الوحيدة والجوهرة الثمينة التي توحدهم انها قلادة الوحدة.

طوبى لكم

شليمون داود أوراهم

لامير الشعراء احمد شوقي "بتصرف"

ياحامل السيف.. خلّ السيف ناحية
ليس الصليب حديدا كان.. بل خشبا
اذا نظرت الى ما صار صاحبه
وكيف جاوز في سلطانه السُحبا
علمت ان وراء الضعف مقدرة
وان للحق لا للقوة الغلبا

تأمل

استضعفوا الصليب.. ولكنه انتصر بالمحبة
سقوه كأس الآلام.. فضمد المجروحين وشفاهم
ادخلوه بيت الحكم.. فبرر الخطاة
احصوه مع الاثمة.. فأحصى الأثمة في بره
ساقوه للموت.. فأحيا المائتين
جعلوه بين اللصوص.. فسلب القلوب للحق
اذاقوه مرارة الألم.. فسقاهم دمه للحياة الابدية
قدموا له الشوك تاجا.. فقدم لهم الفردوس مقاما
جعلوا الصليب لهدم دعواه.. فاتخذه سلما يشيدَ عليه ملكوته

يامسيح

نسيُ القوم وصاياكِ وضلوا وأساءوا
وكما باعوك يا منقذُ بيع الابرياءُ
ياقويا لم يهن يوماً عليه الضعفاءُ
وضعيفا واسمه يصرع منه الاقوياءُ
ونا المسلمُ لا يُجحد عندي الانبياءُ
انت في القرآن حب وجمال ونقاءُ
عجب فديَتك المثلي وفي القول عزاءُ
الهذا العالم الشرير قد ضاع الفداءُ!
الاديب العربي الكبير/علي محمود طه "عن الاهرام القاهرية"

عام على غياب الشاعر العراقي سركون بولص المقتلع شرقاً وغرباً

ديمة الشكر

أعادت منشورات الجمل نشر ديوانين "سابقين" للشاعر العراقي الراحل سركون بولص الذي تصادف هذا الشهر الذكرى الأولى لرحيله، وهما "الحياة قرب الأكروبول" و"الأول والتالي". وتسمح إعادة النشر هذه، بإعادة النظر في قصائد الديوانين، التي تبدو كأنها لم تفقد شيئا من وهجها وتألقها على رغم مرور ما يقارب عشرين عاما على صدورها الأول، بل ما يزيد عليه، لأن سركون، وكما هو معروف، كان يتمهل ويتريث في نشر قصائده.

لا يعدّ سركون بولص من الشعراء "السهلين" إن جاز التعبير، هذا ما تشي به قصائده بصورة مستمرة، لكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن صعوبتها تعود إلى كون الغموض والإبهام فيها محض "حلية" أو "زينة" تبغي إثارة الدهشة والاستغراب، مثلما لا يعني أن حصة اللاوعي في إلهام القصيدة أكبر من حصة الوعي، إذ لو كان ذلك كله صحيحا، لكفّت تلك "الأحابيل" عن فعلها بتقادم الزمن ولبدت نافلة لا يعوّل عليها.

وعلى خلاف ذلك، يظهر أنّ السبب في صعوبة قصائد سركون عائدٌ إلى أمرين اثنين ينفصلان ظاهريا لكنهما يشكلان معاً أمراً واحداً: الابتكار اللغوي، والبناء الخفي الذي يصعب إلى حدّ كبير تعيين ملامحه الرئيسة. وكلاهما يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى، كيفية تدرّجه وبنائه في جسم القصيدة، على نحو تبدو فيه هذه الأخيرة كنتاج "خلطة سرية" أتقن سركون صنعها وأخفى أسرارها بعناية.

لا يتأتى الابتكار اللغوي من استعمال الألفاظ النادرة، لكنه قد يتأتى من حسن استعمال الاستعارة والتشبيه والكناية وغيرها من العناصر الشعرية التي نجحت البلاغة في تحديدها ضمن مفهوم عام ينظر إلى معاني الألفاظ تارة وفقا لحقيقتها وتارة وفقا لمجازها، باعتبار أن المجاز "قنطرة" الحقيقة كما قالت العرب، أمّا ابتكار سركون بولص اللغوي فيقوم على ما هو نقيضٌ للمجاز -كمفهوم شعري- برمته، ليصبح السياق الناجم من قِران الألفاظ بعضها ببعض حاملا رئيسا للغة شعريّة خاصة تشير إلى هواجس الشاعر وعوالمه: "أتركها تمارين مرة أخرى/ هذه الرغبة التي تأتيني في المساء/ لتستلقي بعفوية أمامي كعاشقة جاءت/ تريد المصالحة بعد شجار/ أتركها طافية وسط حياتي كشارة بلهاء/ هذه الثريا التي تجهل الإنارة".

هذا المقطع مفتتح قصيدة "بار النورس"، التي تدور حول موضوع "الرغبة" ظاهريا، بيد أنها تفصح عن هاجس سركون الأولي: "فكرة الصيد هي مفهوم الشاعر الحقيقي"، لتشف عن عالمه الداخلي الذي يفيض فتلتقي أنا "الشاعر" بـ "أنا" القارئ من خلال اقتناص "لحظة" الرغبة في بار أميركي، حيث تؤدي حاسة البصر دورا في استكشاف المكان وكشف الهواجس في آن واحد: "في عهدة موسيقى أحادية المعنى/ غامضة المزايا، همساتها مقدّمة لصرخاتها/ الآتية/ على إيقاع الغرائز الأولية"، على نحو يصبح فيه "التراسل بين الحواس" "البصر، السمع، اللمس" هو السياق الأوضح للقصيدة، والضمان الأكيد لخلق المعنى.

هذا الخلق لدى سركون لا يتمّ من خلال أحابيل البلاغة بل يتمّ بالضبط من خلال بناء القصيدة جملةً فجملة، حيث تكون الجمل طويلة غالبا: "سأربط خيط حتفي بالطريق/ بحبل سرة لحظة/ تأتي/ إلى بوابة نارية/ قيدت في نيرانها رأسي". فالهدف هو التخلص من آثار التصوير المباشر والذهاب رأساً نحو لغة عذراء تمتح من الواقع لكنها لا تنقله بل تحيد عنه لتصوّر أثره في نفس الشاعر: "لغة الفجر مليئة مثل صمتك بالوعود/ تتمنع مثلك عندما أريدها/ هذه اللحظات التي تتدلى في فضائها/ ولا راحة مفتوحة بما يكفي/ لتلقيها كالثمار من الهواء"، فالمرأة المتمنعة تقدح زناد الذاكرة إذ تشبه فجرا مضى في كركوك: "لن تستلّني من عجينة نومي هنا/ أصوات ديوك جهيرة تتحفز للاحتفال بالفجر/ من سقوف كركوك".

ابتكار لغوي

الابتكار اللغوي الناجم عن بناء القصيدة وخلق المعاني هو ما يفتن النقد عادة، لكن الافتتان قد يدنو من الاستلاب حال نظر النقد في شؤون الإيقاع في قصائد سركون: "تحت الضياء الساري من الباب/ من باب المطعم إلى الرصيف/ إلى الرصيف المقفر إلا من الظلال حيث يسفر/ أطيافه الشتاء.../ تحت الضياء الذي يسقط في الخارج على شكل تابوت/ تحت ذلك الضياء". فالتكرار عماد الإيقاع، وقد يسلس القياد لانتظام دوري فيسمح بالقياس، وقد لا يسلس، فيتفلت من أي ضابط من دون أن يفقد سحره.

الإيقاع لدى سركون يقع بالضبط بين الأمرين، فيبطن عند مطلع القصيدة وزنا لبحر يمكن قياسه عروضيا، لكنه لا يلبث أن يتفلت من انتظامه الدوري، ليبقي على جرس الكلمات المتكررة، الذي لا يلبث أن يختفي بدوره بسبب الجمل الطويلة التي ستفتح المسارب لخلق المعنى وبناء القصيدة. وكلما تلاشى الإيقاع وتغربت القصيدة عن رجعها، أعاد الشاعر لعبته الأسرة من طريق التكرار. فالإيقاع لدى سركون هو "ضيف المسافة" بين الوزن واللاوزن: "في وقت مضى، في زمن آت/ في زمن آتٍ في وقت مضى، لشيء أو لشارة/ أفلتت مني/ عندما كنت تَرود في الليل/ عندما كنت أرود. عندما هربت مني شبه عارية في كرمة أبيها"، وتكفل القراءة الجهرية للقصيدة الإحساس بالإيقاع ونبضه سواءً أكان واضحا من خلال التكرار أم لاهثا متسارعا بسبب طول الجمل. ولعل هذا الإيقاع هو الصورة الأوضح عن تأثر سركون بولص وإعجابه بجيل "Beat" الأميركي، وبصورة خاصة قصيدة "Howl" "عواء" لآلن غنسبرغ "وقد ترجمها كاملة لمجلة (الكرمل)، ع ١٩٩٢/٤٣"، المتميّزة بتقنياتها الصوتية. لكنّ تأثّر بولص بالشعر الغربي لم يغرّبه البتة عن اللغة العربية، فلا أثر لفوضى التراكيب المقتطعة في قصائده، ولا أثر البتة لـ "لغة الترجمة" التي وسمت إلى حدّ كبير تجارب غيره من شعراء قصيدة النثر "الشعر الحر بتعبيره". بل على العكس من ذلك كله.

كانت قصائد سركون غالباً ما تنضح بالرجع والبيئة العربيين من دون أن تخفي البتة روافدها الآشورية، فيقول في قصيدة بعنوان "زفاف في تبّة كركوك": "بين قدمي عازف الزرنة المارد ورفيقه الطبل، يلطأ الأطفال في دورانهم كأنما بين أعمدة، كل طفل خذروف بشري أباحت له المناسبة نعمة الهيجان، يدوم حول مائدة العرس، وأمام صف عجائز عمشاوات يجلسن كالخفافيش في الكراسي الأمامية". وليست الطفولة الآشورية وحدها ما كانَ سركون يبغي "صيده"، بل لعله الزمان الذي أفل وضاع. ففي قصائد سركون ينهض عالم بأسره متشكلاً من شذرات ونتف وشظايا، يعطي الأفول معنى وجوديا، يتقاطع مع اغتراب الشعراء الجاهليين في وقوفهم على أطلال المكان، لا باعتباره رسما دارسا فحسب، بل باعتباره خسارة شخصية واغترابا قاسيا.

يقول في قصيدة "كواكب الذبياني": "بيدي اليمنى المتعبة، في طريقي/ إلى المطبخ البارد لأغلي الشاي من جديد/ أشير إلى الصباح الذي يزحف كبزاقة ذهبية/ من الشرق، بين التلال وأبراج التلفزيون/ في هذه المدينة النائمة بوقاحة على كتف المحيط/... أكاد أضاهي النابغة الذبياني في إحدى لياليه/ عندما ساوم الملوك في الظلام على حفنة/ من الخلود وشكا/ من بطء الكواكب في قصيدة". ففي هذه القصيدة كما في غيرها من الديوانين يبقى سركون بولص "ضيف المسافة" بين شرق يقتلع من مكانه وزمانه وغرب يسكن فيه من دون أن يسكن إليه.

* مؤسسة الجذور الثقافية